



تركيا وحوض البحر الأسود بعد الحرب الباردة

وليد محمود احمد

مدرس/قسم الدراسات السياسية والإستراتيجية
مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

شكّلت مسألة الأمن والاستقرار في حوض البحر الأسود أهمية كبيرة بالنسبة للأمن القومي التركي في حقبة الحرب الباردة. بعد انتهاء الحقبة المذكورة بدأ الأتراك نشاطهم السياسي في جوار بلادهم الإقليمي خلال فترة رئاسة توركوت اوزال (-) لأجل بناء زعامة تركية إقليمية عرفت بـ (العثمانية الجديدة).

ضمن النشاط التركي المشار إليه نجحت تركيا في توليف مجموعة من الدول المتناقضة عرقياً وعقائدياً في مشروع أطلق عليه منظمة التعاون الاقتصادي لدول البحر الأسود احتوى بعداً اقتصادياً - سياسياً، بهدف تثبيت السلام الدولي - في منطقة البحر الأسود والقوقاز - الضروري لتأمين إمدادات الطاقة باتجاه أوروبا، وحسب تصورات الأتراك، فإن ذلك يمكن أن يمنح بلادهم مكانة في الاستقرار العالمي، مما يساعد في إعطاء زخماً إضافياً لتركيا في طريقها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

مقدمة



تمثل منطقة البحر الأسود، الحدود الشرقية للمنظومة الأوروبية-الأطلسية المجاورة لمنطقة المشرق العربي ومحيطها، وبشكل البحر الأسود في المستقبل القريب ممراً رئيسياً لعبور النفط والغاز الطبيعي المصدر- من الدول غير الأعضاء في منظمة البلدان المصدرة للنفط المعروفة اختصاراً بإسم (الأوبك)، أو من دول الخليج العربية إلى الأسواق الأوروبية وما ورائها.

على هذا فقد أصبح الاستقرار والتكامل مع الغرب في منطقة البحر الأسود مطلب ينطوي على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لتركيا فيما يتعلق بمسائل التعاون الاقتصادي لدول هذا البحر من جهة، وما يتعلق بمسائل تأمين الطاقة لدول الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء بمنظمة حلف شمال الأطلسي من جهة أخرى.

كانت المتغيرات التي واجهتها تركيا في فترة مابعد الحرب الباردة (وصعوداً) ولا تزال تمثل محط اهتمام المفكرين الأكاديميين والاستراتيجيين الأتراك، ذلك أن انتهاء الحرب الباردة دفع تركيا للعمل على تكييف سياستها الخارجية لتتلائم مع الواقع الدولي الجديد، وفي ذات الوقت، فإن المتغيرات المشار إليها، فرضت رؤى وتصورات على المنظور الاستراتيجي التركي كانت لها انعكاساتها الواضحة على التوجهات الخارجية التركية.

بناءً على ماتقدم فقد دارت تساؤلات في أذهان منظري السياسة التركية ومن معهم من المفكرين حول المدى الذي يمكن أن يذهب إليه نفوذ بلادهم ودورها الإقليمي في ظل الوضع الدولي الجديد الناجم عن انتهاء الحرب الباردة، وهذا ماسيحاوول البحث الخوض فيه من خلال الحديث عن تصورات الساسة الأتراك لمكانة بلادهم في مرحلة مابعد الحرب الباردة من خلال نشاطها في حوض البحر الأسود.

تركيا والمتغيرات الدولية بعد الحرب الباردة





استندت السياسة الخارجية التركية منذ تأسيس الجمهورية التركية الحديثة عام ، في جانب كبير منها على توجه نحو الغرب، وخلال عهد مؤسس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك (-) تحقق تقارب تركي مع الاتحاد السوفييتي ومع الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هناك خطوات هامة لتطوير العلاقات السياسية بين تركيا وأوروبا، ومن ثم كانت القطيعة شبه التامة مع دول الجوار العربي والإسلامي^(١)، أما في فترة الحرب العالمية الثانية، فقد اعتمد الأتراك مبدأ الحياد واعتبروه منهجا لسياستهم الخارجية على الأقل حتى المراحل الأخيرة من الحرب، حيث لم يكن من اليسير الانحياز إلى أي من الجانبين المتحاربين، ولم يكن واضحاً آنذاك إلى من ستؤول الهيمنة في نهاية الأمر رغم أن نتائج الحرب فيما بعد طورت صراعا في جبهة المنتصرين حكم العالم لأربعين عاماً بعد تلك الحرب مباشرة^(٢).

كانت تركيا في فترة الحرب الباردة (-)، جزءاً أساسياً من نظام الدفاع الغربي، ولعبت دوراً مهماً في مواجهة تمدد النفوذ السوفييتي في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط من خلال سياسة خارجية وأمنية في إطار حلف شمال الأطلسي، وكانت قاعدة متقدمة للدعم العسكري بالنسبة للغرب، ولم تتغير هذه السياسة بشكل واضح إلا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة عبر انفتاح تركيا على منطقة القوقاز وآسيا الوسطى والبحر الأسود^(٣).

ظلت السياسة الخارجية التركية ابتداءً من قيام الجمهورية التركية وحتى أواخر القرن الماضي، تدار بقوى تقليدية مناصرة للغرب ومدعومة بالجيش ومدفوعة بعوامل دولية تمثلت بالمخاوف التركية من تعاظم النفوذ السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية فقد انقسم العالم إلى معسكرين شرقي (شيوعي)، وغربي (رأسمالي)، وحسب وجهة النظر الغربية فإن من لا ينتمي إلى المعسكر الغربي فهو شرقي شيوعي، واكتسبت تركيا من خلال عضويتها



في حلف شمال الأطلسي علاقة متميزة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي نقلت النظرة الأوروبية حول الأتراك من (برابرة على البوابات الأوروبية Barbarians at the gates)^(١) إلى حماة لهذه البوابات، وتولى الجيش التركي مهمة حماية جنوب شرق القارة الأوروبية. وطغى (الطابع الأطلسي) على تركيا في وقت كان العالم يشهد صراعاً بين المعسكرين الشرقي والغربي، لكن الجماعات التجارية المتنفذة في البلد سعت في التسعينيات من القرن العشرين لإحداث تغييرات في التوجهات التركية اثر تفكك الاتحاد السوفييتي^(٢).

مرت السياسة الخارجية التركية بمراحل مختلفة، فبعد فترة التحول من السلطنة العثمانية إلى الجمهورية، اتصفت بأنها (دولة جبهة) وهي الدولة التي تخوض الحروب في أماكن عدة، وبعد انضمام الجمهورية التركية إلى حلف شمال الأطلسي بعد الحرب العالمية الثانية ()، تحولت إلى (دولة جناح) فأصبحت جزءاً من الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الأطلسي، وتبلورت سياسة تركيا الخارجية وفق هذا الوضع الجديد، غير أن انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، دفع باتجاه انتهاء الموقع الجغرافي- السياسي لتركيا كدولة حاجزة (End The Buffer State Geopolitical Position)، مما دفعها لانتهاج سياسة خارجية جديدة تتناغم بالضرورة مع هويتها القومية^(٣).

تعرضت تركيا بعد انتهاء الحرب الباردة إلى تراجع نسبي لقيمتها الإستراتيجية، وبدأ الأتراك بمراجعة سياساتهم الخارجية مطلع التسعينيات من القرن العشرين حيث وضع خبراءهم في مجال السياسة الخارجية آنذاك مثل دوغو سيزر، وعلي قوه عثمان وأغلو، الأساتذة في جامعة بلكنت، إستراتيجية للسياسة الخارجية التركية في ضوء المتغيرات السياسية الدولية التي تمثلت بتفكك حلف وارسو بعد أفول النظام السوفييتي عام وما ترتب على ذلك من انعكاسات على مستقبل حلف شمال الأطلسي



وخصوصاً دول المواجهة من الأعضاء فيه مثل تركيا، وبدلاً من أن تظل تركيا بعيدة عن الأحداث عليها أن تبادر وأن يكون لها حضور فعال، وأن تساهم في التطورات على المستوى المحلي والعالمي على السواء، ودفعت المخاوف السياسية والاقتصادية، (أنقرة)، إلى تعزيز علاقاتها مع أذربيجان وجورجيا، فقد كانت أذربيجان دولة مهمة لتركيا لتأمين حاجات الأخيرة من الطاقة، بينما تقع جورجيا في منطقة فاصلة بين الدولتين ومنطقة قزوين، لذلك دعا المسؤولون الأتراك إلى حل سلمي للنزاعات (المجمدة) كالنزاع بين أرمينيا وأذربيجان، والنزاع بين ابخازيا واوسيتيا الجنوبية مع المحافظة على وحدة أراضي دول المنطقة، كما شهد النصف الثاني من عقد التسعينيات من القرن الماضي انفتاحاً تركيا ملحوظاً نحو روسيا الاتحادية بعد توصل البلدين إلى تفاهات مقبولة^(٧).

كما تمت الإشارة إليه، فقد كانت تركيا خلال فترة الحرب الباردة تمثل الجناح الجنوبي لحلف شمال الأطلسي ودولة عازلة على الحدود السوفييتية، ولكن بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وظهر روسيا الاتحادية أضحت هذه الأخيرة جارا لتركيا واكبر شريك تجاري لها فيما بعد، وتواجه تركيا الآن، وهي عضو في الحلف الأطلسي خياراً شائعاً بين متطلبات الولاء للحلف، وبين متطلبات مصالحها الاقتصادية المتزايدة مع جارتها روسيا فيما تخشى أن تجد نفسها على خط المواجهة في حرب باردة جديدة في حوض البحر الأسود سيما وأن هناك دولاً تحيط بهذا البحر لازالت تحمل معها إشكاليات كما تم ذكره، فضلاً عن أن هناك دولاً لم تتل اعترافاً روسيا باستقلالها كونها جزء من الأراضي السوفييتية السابقة ولا ترغب موسكو بانفصالها، ويمثل النزاع بين جورجيا واوسيتيا أحد أهم هذه الإشكاليات، والذي نجم عنه صراع بين روسيا الاتحادية وجورجيا عام ()^(٨).

اكسب الموقع الجغرافي لتركيا ثقلاً استراتيجياً لمكانتها طوال فترة الحرب الباردة، ثم جاءت نهاية هذه الحرب لتعيد النظر بتقييم الموقع الإستراتيجي



الذي احتلته تركيا خلال حقبة المواجهة بين المعسكرين الشرقي والغربي وعما إذا كانت هناك فائدة مستقبلية يمكن الاعتماد عليها لصالح هذا الموقع، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت لها رؤيتها الخاصة في هذا الإطار فقد اعتقدت انه بالإمكان المراهنة بشكل كبير على دور تركي مستقبلي لكي (يضمن التوازن Ensure a Balance) الدولي في منطقة آسيا الوسطى في مواجهة النفوذ الصيني والروسي، فضلاً عن ذلك، فقد كانت هناك أهمية مضافة لتركيا تتمثل بضمان تدفق موارد الطاقة عبر أراضيها باتجاه الغرب وبالتالي يمكن أن تكون موطئ قدم للنفوذ الأمريكي من خلال مظلة حلف شمال الأطلسي في هذه المنطقة الغنية بالنفط والغاز حسب التصورات الأمريكية، وفي إطار هذه التصورات أيضاً، فإن تركيا تعد بوابة مهمة للنفوذ الأمريكي في حوض البحر الأسود^(٩).

منح ظهور الجمهوريات المستقلة في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، السياسة الخارجية التركية حيوية كبيرة باتجاه تعزيز النفوذ الإقليمي التركي، فقد كانت موسكو بعد الحرب الباردة تخشى من أن التواصل بين سكان هذه الجمهوريات وبين تركيا يمكن أن يؤدي إلى ظهور عالم تركي يضم الجمهوريات المشار إليها، فضلاً عن القوقاز وبزعامة تركية، الأمر الذي قد يسبب مشاكل تلامس الأمن القومي الروسي، بينما اعتقد الأتراك أن من شأن انفتاحهم على العالم التركي، قطع الطريق أمام تمدد النفوذ الإيراني وتحجيم النفوذ الروسي في حالة إذا ما فكر الروس بالعودة إلى ما يعتبرونه مناطق نفوذ تقليدية لهم^(١٠).

في النصف الأول من عقد التسعينيات من القرن العشرين، ظلت العلاقات بين تركيا وروسيا الاتحادية يكتنفها التوتر، فقد تأثرت العلاقات بينهما بقضايا إقليمية، فعلى سبيل المثال ساند الأتراك، الشيشان في صراعهم ضد الروس في الحرب التي اندلعت بين الطرفين عام ١٩٩٤، وحظي القادة الشيشان بترحاب في أنقرة، بينما ساندت روسيا الاتحادية



بالمقابل حزب العمل الكردستاني في صراعه ضد تركيا، أما توطيد العلاقات بين تركيا وكل من جورجيا وأذربيجان وتركمانستان فقد كانت مبعث عدم ارتياح لدى موسكو^(١١).

في النصف الثاني من عقد التسعينيات من القرن العشرين حصل تقارب في العلاقات التركية الروسية، فقد كان على تركيا أن تعدل من توجهاتها الخارجية الإقليمية بعد أن بقيت سياستها الخارجية شبه أسيرة لالتزاماتها الغربية ولفترة تقارب أربعة عقود (الحرب الباردة) في ظل ضبابية تجاذبتها مبادئ أتاتورك التي ركزت على التحديث من خلال التغريب (modernization through Westernization) من جهة، وغابت في ثناياها ماهية المشروع الوطني التركي من جهة ثانية^(١٢).

مع تفكك الاتحاد السوفييتي وظهور روسيا الاتحادية، وجدت تركيا نفسها رغبة، أو مضطرة للتعامل مع الجار الروسي الجديد ومع جيرانها الآخرين، هذا من جانب، ومن جانب ثان فقد شهد الاقتصاد التركي انفتاحاً خارجياً كبيراً فكان على السياسة الخارجية التركية أن تكون أكثر مطاوعة لمصالح البلاد الاقتصادية وكان على الدبلوماسية أن تخدم مصالح المؤسسات التجارية والاقتصادية التركية وانتقلت البلاد تبعاً لذلك في توجهاتها الخارجية الإقليمية من المواجهة إلى المشاركة وأدركت النخب التركية أن الفرصة مؤاتية لأجل تطبيع العلاقات مع جوار بلادهم وتسوية النزاعات عن طريق الحوار، وتم الإقرار بأن أسلوب المواجهة أو فرض القيود على العلاقات الخارجية قد لا يؤدي بالضرورة إلى إضافة مكاسب أمنية لتركيا والتي هي بحاجة لها في فترة ما بعد الحرب الباردة^(١٣).

النشاط التركي في منطقة البحر الأسود

أصبحت تركيا كما هو معروف عضواً في حلف شمال الأطلسي في وقت متقدم من الحرب الباردة ودولة مواجهة متقدمة للحلف على حدود



الإتحاد السوفيتي السابق، ومع نهاية مرحلة الحرب الباردة ساورت المسؤولين الأتراك مخاوف من تراجع أهمية بلادهم الإستراتيجية بالنسبة للغرب وبلغت هذه المخاوف أوجها عندما دارت تساؤلات جدية في أوساط النخبة السياسية التركية حول إن كان تراجع الأهمية الجغرافية- السياسية التركية يؤثر بشكل سلبي على حصول الجمهورية التركية على مقعد كامل العضوية في الاتحاد الأوروبي^(١٤).

كان على تركيا أن تعدل وتطور توجهات سياستها الخارجية مستندة للتطورات الدولية في الحقبة التاريخية التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة خصوصاً بعد تبلور نظام عالمي جديد افرز متغيرات جديدة لتركيا في محيطها الجغرافي- السياسي أثرت على توجهاتها الخارجية كالنزاعات العرقية والعقائدية في البلقان والقوقاز، وتوجب على الأتراك التعامل مع شعوب تختلف عنهم في اقتصادياتها وتوجهاتها الإيديولوجية الأمر الذي فرض معه متغيرات على جدول أعمال السياسة الخارجية التركية، فيما قدم الموقع الجغرافي المتميز لتركيا دوراً كبيراً لها بدا في كثير من الأحيان وكأنه اكبر من حجمها خصوصاً في فترة الحرب الباردة وما بعدها، فقد أضفى ذلك الموقع ثقلًا لا يستهان به لصالح تركيا في علاقاتها مع القوى العظمى، فضلاً عن أن وقوعها بين بلدان غنية بالنفط والموارد الطبيعية منحها فرصة كبيرة في أن تكون ممراً حيوياً لنقل هذه الثروات الطبيعية إلى الأسواق العالمية، ولا شك في أن مثل هكذا دور سيضفي على تركيا أهمية بالغة لصالح تأثيرها وفعاليتها في الشؤون الدولية^(١٥).

من هنا حاول الرئيس التركي توركوت اوزال (-)، تبني سياسة خارجية جديدة على المستوى الإقليمي بأمل استعادة نفوذ ضائع لبلاده والعودة إلى جوارها التاريخي مستنداً إلى خصوصية التوليفة الإسلامية- التركية (Turkish - Islamic synthesis) للهوية الوطنية التركية



سبق وان غابت بسبب الالتزامات الكمالية في سياسة تركيا الخارجية المستندة على التوجهات الغربية^(١٦).

شهدت فترة حكم الرئيس اوزال انهيار جدار برلين عام ١٩٨٩ وما نجم عنه من تداعيات كان أبرزها تفكك الاتحاد السوفييتي، لذا فقد ترتبت تبعاً لذلك متغيرات في السياسة الخارجية التركية في وقت مبكر من عقد التسعينيات من القرن العشرين. كان تصور اوزال يستند على ضرورة التكيف مع التداعيات الدولية ومن ثم الاستفادة منها لتعزيز مكانة تركيا لتصبح اقل استجابة للاملاءات الخارجية واستعادة المبادرة في توجهاتها الخارجية، وتوجب عليه في سبيل ذلك المخاطرة بمواجهة القوى المتنفذة في تركيا (الجيش، العلمانية)، وبنفس الوقت كان عليه التعامل بحذر مع الالتزامات التي تفرضها المبادئ الاتاتورية^(*) على توجهات الجمهورية التركية^(١٧).

اعتقد اوزال انه بالإمكان دفع تركيا باتجاه تبوء مركز نفوذ سياسي واقتصادي إقليمي لا يستهان به بالاستفادة من انحسار النفوذ الروسي لجذب انتباه الغرب إلى أهمية تركيا المتجددة كشريك في هذه المنطقة الحيوية خصوصاً في القوقاز ومنطقة البحر الأسود، ولأجل هذا آمن اوزال بقدرات تركيا الجغرافية- السياسية على الاستمرار بكونها ضرورة أساسية لاغنى عنها بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي على الرغم من انتهاء التهديدات السوفييتية، حيث كانت الفرصة مهيأة لإثبات ذلك من خلال المشاركة التركية في القوات الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي تدخلت في الصومال خلال العام ١٩٩٠ - ، فيما تولدت أواخر التسعينيات من القرن العشرين قناعة لدى الغرب بأهمية تركيا كممثل (Emissary) له في اوراسيا التركية^(١٨).

أدى انتهاء الحرب الباردة إلى إتاحة الفرصة أمام تركيا لأن تتبع سياسة أكثر مرونة في مناطق عدة مثل منطقة آسيا الوسطى والقوقاز ومنطقة



حوض البحر الأسود، وتوجب على النخبة السياسية التركية أن تتحرك وفقاً لما تفرضه اعتبارات الوضع العالمي المتغير خصوصاً وان عدم تبلور نظام عالمي جديد واضح المعالم آنذاك تتفرع عنه أنظمة إقليمية جديدة ومستقرة، ربما ينجم عنه محاذير أمنية جدية تواجه تركيا في محيطها الجغرافي-السياسي الشامل خاصة في القوقاز وحوض البحر الأسود، فمنذ عقد التسعينيات من القرن العشرين اندفع الغرب نحو تنويع مصادر اعتماده على الطاقة بضمنها منطقة القوقاز وبحر قزوين والبحر الأسود مما جعلها تبدأ بالظهور في الأدبيات السياسية التي تتناول قضايا امن الطاقة الأوروبي والعالمي على حد سواء، ووفر انتهاء الحرب الباردة فرصة لدول الجوار التركي ذات الاقتصاديات الاشتراكية (بلغاريا، رومانيا، روسيا) لتبني التحول باتجاه الاقتصاديات الرأسمالية مما قدم أسواقاً جديدة للتجارة الخارجية التركية ومن ثم ساعدت هذه المتغيرات على تقديم تركيا كمركز جذب وزعامة في إقليمها^(١٩).

في نطاق السياسة الخارجية استمر تأكيد رغبة انتماء تركيا إلى العالم الغربي خصوصاً طلب الانتماء إلى الاتحاد الأوروبي فيما كان يجري توثيق الروابط الاقتصادية والتجارية بالمحيط الإقليمي في إطار سياسة خارجية في عهد الرئيس اوزال، كان مفادها الانفتاح على دول الجوار الإقليمي والعمل لأجل خلق توازن بين المبادئ الاتاتورية في التغريب، وبين متطلبات الثنائية للهوية الوطنية (التركية-الإسلامية)، أطلق عليها في الأدبيات السياسية بـ (العثمانية الجديدة**) - (Neo Ottomanism) والتي أصبحت صفة ملازمة وأساسية لتوجهات اوزال في مجال السياسة الخارجية^(٢٠).

كانت هناك مخاوف حقيقية في الغرب مفادها أنهم ربما فقدوا (Lost) تركيا التي أصبحت أكثر قرباً من روسيا الاتحادية فيما تعاظم نفوذها إقليمياً وتمكنت بذلك من تعويض تقلص قيمتها الإستراتيجية بنظر قادة العالم الغربي أواخر الثمانينات من القرن العشرين نتيجة للتحويلات التي نجمت عن





انهيار الأنظمة الاشتراكية في أوروبا، وتغير الدور التركي تبعاً لذلك وأصبح أكثر فاعلية في الشؤون الإقليمية، فقد انفتحت آفاق جديدة أمام الدبلوماسية التركية في مناطق القوقاز و آسيا الوسطى وحوض البحر الأسود مما ترتب عليه مسؤوليات على تركيا تمثلت بدور بارز في مايتصل بسياسات امن الطاقة، فضلاً عن سياساتها للتوصل إلى حلول للنزاعات المتعلقة سواء بها أو بدول جوارها الإقليمي. ومع مطلع سنة أصبحت تركيا بمثابة القطب الجاذب في مجالها الجغرافي - السياسي - الاقتصادي^(٢١).

إن الحديث عن تراجع الدور التركي إقليمي، عد أمراً غير مقبول لدى النخبة السياسية التركية وربما لم تعد تركيا دولة محورية في المنطقة بعد الحرب الباردة، إلا أن حوض البحر الأسود وبحر قزوين استمر ضمن دائرة الاهتمام الإقليمي والدولي لما لهما من دور محوري وأساسي في مستقبل التوازنات الدولية بعد مرحلة الحرب الباردة، عليه فقد حظيت منطقة البحر الأسود بأولوية في السياسة الخارجية التركية حيث بادرت تركيا إلى إنشاء آليات للتعاون الإقليمي الاقتصادي والسياسي، واستندت في سياساتها وتوجهاتها هذه على الشفافية والشمولية (inclusiveness and transparency) مع كافة دول الإقليم^(٢٢).

كانت سياسات تركيا الأمنية في البحر الأسود متناغمة (Harmony) مع محاولاتها الحديثة للانفتاح السياسي في علاقاتها الخارجية على دول جوارها الإقليمي، فضلاً عن محاولاتها لإيجاد مناخ إيجابي يحكم علاقاتها الإقليمية مع الدول التي تربطها بتركيا نزاعات واث تاريخي سلبي^(٢٣).

ولأسباب أخرى تتعلق بموقعها المهم لتأمين استمرار تدفق إمدادات الطاقة، تحركت تركيا بنشاط ملحوظ في دول حوض البحر الأسود لأيّ إخلال بالحصريّة التركية على مراقبة سواحل هذا البحر ومسؤوليتها عن امن وسلامة المضائق التي تقود إلى هذا المسطح المائي المهم، سيفضي بلا شك إلى تفويض الأهمية الإستراتيجية لتركيا والتي ليس من الحكمة التفريط



بها، لذا عمد الأتراك بعد انتهاء الحرب الباردة إلى إطلاق مبادرة لإنشاء تجمع لدول حوض البحر الأسود، وصولاً إلى تجمع دول البحر الأسود الكبير، وفي سياق الأمر ذاته دعمت تركيا بشكل واضح عضوية كل من بلغاريا ورومانيا في حلف شمال الأطلسي لأن ذلك سيوفر دعماً لجهود تركيا في حماية أمن هذا البحر، فضلاً عن أن روسيا الاتحادية وأوكرانيا تتمتعان بعلاقات طيبة مع الحلف الأطلسي^(٢٤).

كانت فكرة إقامة تعاون بين دول منطقة البحر الأسود قد خطط لها الدبلوماسي التركي شكري اليكداغ^(٢٥)، ومن ثم تبلورت باتجاه فكرة إنشاء تجمع اقتصادي يجمع دول البحر الأسود في سنوات حكم الرئيس التركي، توروكون أوزال (-)، حيث عبرت الدول المطلة على هذا البحر عن رغبتها في إنشاء تجمع خدمة لمصالحها الاقتصادية، ومن ثم إقامة منطقة للتبادل التجاري الحر^(٢٦).

كان الرئيس التركي يؤمن بأن هناك فرصة حقيقية لتركيا لكي تجني مكاسب اقتصادية وسياسية عبر ضم البلدان التي كانت خلف (الستار الحديدي The Iron Curtain) في تجمع اقتصادي في جانب منه، وسياسي في جانبه الآخر، وذلك من خلال الأخذ باقتصاديات هذه البلدان للتحويل إلى اقتصاد السوق^(٢٧).

استحوذت الفكرة المشار إليها على جانب كبير من رؤى وتصورات الرئيس أوزال بشأن مستقبل بلاده وجوارها الإقليمي في منطقة حوض البحر الأسود في مشاورات أجراها مع الرئيس الأمريكي جورج بوش (-) -، والرئيس السوفييتي آنذاك ميخائيل غورباتشوف (-)، وذلك مع نهاية العام^(٢٨).

عقد الاجتماع الأول لمناقشة مشروع منطقة البحر الأسود في العاصمة التركية (أنقرة) في كانون الأول من عام ١٩٩٢ بمشاركة كل من الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، وتركيا ورومانيا وبلغاريا، ولاحقاً تم عقد اجتماعين آخرين



في كل من العاصمة الرومانية (بوخارست)، والعاصمة البلغارية (صوفيا) على التوالي، وتم إشراك كل من أرمينيا وأذربيجان فيما بعد، وتمت الصياغة النهائية (finalized) لمبادئ التعاون بين الدول المشاركة في العاصمة الروسية (موسكو) في تموز من العام ، ومن ثم تم التوقيع (بالأحرف الأولى initialed) على المشروع في مدينة استانبول التركية في الثالث من كانون الثاني من عام (٣٠).

كانت هناك حاجة واضحة في هذا الجزء من العالم، لتكييف هذه البلدان لتتمكن من مواكبة المتغيرات السياسية العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة، وتصدت تركيا لهذه المهمة لأجل تثبيت السلام والاستقرار في منطقة البحر الأسود عبر إقامة علاقات ومصالح متبادلة بين الدول المطلة على هذا البحر (٣٠).

إن إقامة تجمع اقتصادي لن يخدم فقط مصالح البلدان المشار إليها، بل سيعمل على تحقيق الرفاهية لشعوب البحر الأسود، وأيضاً سيضع حدا للعداء (animosities)، الذي يحكم علاقاتها السياسية (٣١)، فعلى سبيل المثال، وجدت أرمينيا نفسها ترتبط مع تركيا بهذا التجمع على الرغم من النزاع الطويل بينهما، أما اليونان فقد وجدت نفسها متقاربة مع تركيا رغم خلافاتهما، ووفقاً للمنظور التركي، فإن الحفاظ على السلام في البحر الأسود كان ولا يزال احد الأهداف الرئيسية لأنقرة التي أثبتت أن سياستها المتوازنة في هذا الحوض المائي المهم، كانت ناجحة تماماً طيلة عقود من التوتر أثناء فترة الحرب الباردة (٣٢).

بدأت المفاوضات التي تناولت مسائل تقنية تتعلق بحرية انتقال البضائع والسلع، وتخفيض التعريفات الكمركية (Tariff Reduction)، بشكل غير رسمي بين كل من تركيا والاتحاد السوفييتي (السابق) ورومانيا وبلغاريا مع نهاية العام ، واعتباراً من هذا التاريخ وحتى منتصف تموز عام كانت قد عقدت أربعة اجتماعات في هذا الإطار، ومن ثم تم الاتفاق على الصيغة الأولية للتعاون الاقتصادي والتجاري في هذه المنطقة (٣٣).



بعد تفكك الاتحاد السوفييتي انضمت إلى هذه المشاورات كما تمت الإشارة إليه البلدان الآتية: أرمينيا وأذربيجان، وجورجيا، ومولدافيا، وأوكرانيا فيما حلت روسيا الاتحادية بدلاً من الاتحاد السوفييتي، وتم التحضير لوثيقة حددت فيها الخطوط العامة للتعاون الاقتصادي في منطقة البحر الأسود^(٣٤).

في كانون الأول من عام اجتمع ممثلو الدول الست المطلة على البحر الأسود (تركيا، أوكرانيا، روسيا الاتحادية، جورجيا، بلغاريا، رومانيا)، في العاصمة التركية وفي نهاية الاجتماع تم الإعلان الرسمي عن اتفاق الدول المشار إليها على الشروع بإقامة منطقة للتعاون التجاري مع تركيا في حوض البحر الأسود^(٣٥).





مصدر الخريطة، ينظر الموقع الالكتروني:

<http://imagecache.tezp.com/imgcache/٧٥٢٧df٢٨٩a٩٤٣ad٢٦b٢٦a٤٤٣e٢٢٩٠f٠b.gif>

بعد الاجتماعات التي انعقدت في بوخارست وصوفيا، تمت الصياغة الختامية لمبادئ التعاون الاقتصادي في اجتماع موسكو الذي انعقد في تموز من عام ، ثم تم التوقيع الأولي على تلك المبادئ في الثالث من كانون الثاني عام في مدينة استانبول التركية، وفي نهاية الاجتماع صدر بيان قمة رسمي أطلق عليه - إعلان قمة البوسفور -^(٣٦).

تم التوقيع على إعلان القمة، رؤساء، ورؤساء وزراء () بلدا في استانبول في الخامس والعشرين من حزيران عام ، وفي السادس والعشرين من نفس الشهر تم التوقيع بشكل رسمي على مشروع إنشاء منظمة التعاون الاقتصادي لدول منطقة البحر الأسود^(٣٧)، والذي تضمن معاهدة للتعاون الاقتصادي بين الدول الست المشار إليها فضلاً عن إلحاق بلدانا أخرى بهذه المعاهدة رغم أنها لا تمتلك سواحل مطلّة على البحر الأسود مثل البانيا واليونان وأرمينيا وأذربيجان ومولدافيا، ومن ثم صربيا التي انضمت للمنظمة في وقت متأخر (عام) .

تم الإعلان عن تأسيس المنظمة رسمياً في الأول من أيار عام على أثر معاهدة التعاون الاقتصادي في منطقة البحر الأسود التي تم توقيعها في الخامس والعشرين من حزيران عام . واتفقت الدول الأعضاء () بلداً في المنظمة على نص البيان الذي تضمن في بعض من فقراته إزالة المخاوف التي من شأنها أن تعكر الأمن والسلم بين الدول الأعضاء وفي المنطقة عموماً، كما تمت الإشارة إلى إن تطور اقتصاديات



دول المنطقة ينبغي أن يتوافق مع معايير مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي وصولاً إلى إقامة منطقة اقتصادية تضم كامل القارة الأوروبية^(٣٨).

كانت أهداف المنظمة واضحة وفقاً لإعلان البوسفور وبيان تأسيس المنظمة في إعلان البحر الأسود منطقة آمنة للتعاون الاقتصادي من أجل توفير بيئة ملائمة للتداول الحر للسلع والخدمات ورأس المال وتهيئة فرص الاستثمار لأصحاب المشاريع التجارية^(٣٩)، فضلاً عن أهداف لم تكن مذكورة في بيان البوسفور وتتعلق بقضايا اقتصادية واجتماعية تصب في صالح تنويع العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء وبين بلدان مجاورة من أجل تسريع اندماج المنطقة في الاقتصاد العالمي وذلك من خلال مساعدة اقتصادياتها الناشئة التي تمر بمرحلة انتقالية، هذا إلى جانب أهداف أخرى ضرورية لاقتصاديات السوق تتضمن تعزيز دور القطاع الخاص في التنمية الاقتصادية، وتذليل العقبات التي تعترض التجارة الخارجية وجذب الاستثمارات الأجنبية، وتحقيق الاتحاد الكمركي في المنطقة، وتكثيف العلاقات متعددة الأطراف اللازمة لحسن الجوار وإرساء السلام الضروري للأمن الإقليمي^(٤٠).

لم تقتصر أهداف منظمة التعاون الاقتصادي على الشؤون الاقتصادية بل إن تصوراتها تتجاوز مسائل التعاون والتكامل الاقتصادي إلى أمور تتناول متطلبات بناء الأمن الإقليمي عبر إقامة علاقات حسن الجوار وتحفيز الدول الأعضاء للانتقال إلى الديمقراطية التعددية، وبرهنت المنظمة على فاعليتها في تخفيض حدة النزاعات الإقليمية بين الدول الأعضاء مما قد يفتح الطريق أمام مساهمتها في التطورات الدولية^(٤١).

ارتكز الشعار الرئيس لمنظمة التعاون الاقتصادي على إقامة بنية جديدة للتحويلات الاقتصادية للدول الأعضاء في المنظمة تكون الريادة فيها للقطاع الخاص بما يتوافق مع المتغيرات الدولية وانعكاساتها على دول منطقة البحر الأسود^(٤٢).



خاتمة

تعد منطقة البحر الأسود واحدة من الأقاليم المؤثرة في الأمن والاستقرار في أوروبا وآسيا نظراً لوجود كثير من الإشكاليات بين دولها كالنزاعات العرقية ومشاكل الحدود الدولية والنزاع على تقاسم الموارد الطبيعية والمشاكل المتعلقة بأنابيب نقل الطاقة نحو القارة الأوروبية لذا فهي منطقة بالغة الحساسية والأهمية.

بعد نهاية الحرب الباردة، حققت دول حوض البحر الأسود (الاشتراكية) استقلالية قراراتها السياسي وتخلصت من القيود التي كانت تحكمها، وأشر هذا الحدث التاريخي بداية لتحرك هذه البلدان نحو الاستقلال والديمقراطية واقتصاد السوق.

كان للمتغيرات الدولية التي شهدتها العالم بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، والمتمثلة بانهيار نظام القطبية الثنائي تأثير ليس فقط على نظام العلاقات الدولية بل وعلى الترتيبات الأمنية لدول المنطقة وبضمنها دول حوض البحر الأسود، فضلاً عن تركيا.

بناءً على ماتقدم وجد الأتراك الطريق ممهداً أمامهم لتبني سياسات خارجية أكثر تحراً من الالتزامات التي كانت تحكمهم إبان فترة الحرب الباردة. وكانت التصورات عن ماهية الدور التركي المستقبلي تجول في أذهان منظري السياسة التركية، فلم يكن مقبولا تصور انحسار هامش الحركة والنفوذ التركي خارجياً- إقليمياً سواء كان أم دولياً.

تزامن مع هذه المتغيرات المشار إليها، وصول السياسي التركي ورجل الاقتصاد توركوت اوزال إلى رئاسة الوزراء للفترة (-) م، ومن ثم رئاسة الجمهورية للفترة (-).



كان اوزال سياسياً وقائداً غير تقليدي وراح يبحث عن دور تركي متميز إقليمياً بهدف استعادة نفوذ ضائع لبلاده. لقد طبع اوزال السياسة التركية للسنوات العشر التي أمضاها في الحكم بطابع توجهاته ورؤاه الخاصة به. تطلب تخطي المبادئ الاتاتورية المقيدة للسياسة الخارجية التركية، مقدرة امتلاكها اوزال الذي تمكن من ذلك مستفيداً من تداعيات انهيار نظام الاستقطاب الثنائي الدولي بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، والذي فرض في حينه التزامات على التحركات السياسية التركية في محيطها الإقليمي لاسيما حوض البحر الأسود والقوقاز، فضلاً عن آسيا الوسطى.

وفرت الظروف الدولية المشار إليها الفرصة الملائمة لتركيا لكي تتحرك في محيطها الإقليمي في عهد اوزال، وتطلب تجاوز بعض الالتزامات الاتاتورية (جرأة) امتلاكها اوزال دون أن يثير حفيظة (الكمايين) مما مكنه من المضي في سياساته المتعلقة بالعودة بتركيا إلى (الزعامة) مستفيداً من خصوصية الشخصية التركية المتناغمة قومياً مع الإسلام للانفتاح على آسيا الوسطى والقوقاز، فضلاً عن حوض البحر الأسود، وما يعنينا هنا دول منطقة البحر الأسود، التي سبق وان كانت باستثناء تركيا ذات أنظمة سياسية شمولية في إطار المنظومة الاشتراكية، فضلاً عن أنظمتها الاقتصادية الموجهة.

اغتنم اوزال فرصة التحولات السياسية والاقتصادية للانتقال إلى النظام الديمقراطي واقتصاد السوق في الدول المذكورة، لأجل رسم زعامة تركية استناداً إلى ريادتها في نظامها السياسي والاقتصادي، ونجح في جمع دول البحر الأسود في مشروع اقتصادي أطلق عليه لاحقاً منظمة التعاون الاقتصادي ضم بلدانا سبق وان كانت في إطار الدولة العثمانية في مناطق البلقان وشرق أوروبا والقوقاز فضلاً عن دول البحر الأسود وساهم انفتاحه على منطقة آسيا الوسطى فضلاً عن المناطق أعلاه في اكتساب سياسات فترة حكمه توصيف (العثمانية الجديدة).



حاولت تركيا من خلال تبنيها لمشروع منظمة التعاون الاقتصادي إن تعبر عن متغيرات اكتتفت توجهاتها الإقليمية، وراهنّت على تقديم نفسها (كنموذج ديمقراطي) يتمتع بنظام اقتصاد السوق بالنسبة للدول (الاشتراكية) المنضوية في منظمة التعاون الاقتصادي، وتصورت أن النزاعات العرقية والاثنية الموجودة بين بعض دول المنظمة يمكن (تجميدها) على الأقل، بهدف تثبيت الأمن والاستقرار الإقليمي في هذه البقعة الجغرافية الحيوية لأمن الطاقة الأوروبي.

اعتقد الأتراك أن نشاطهم هذا يمكن اعتماده لصالح مسالة انضمامهم إلى الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن أن تشكيل المنظمة المذكورة يمكن اعتباره خطوة تسهم في تعزيز الاقتصاديات الأوروبية الرأسمالية من حيث توفير ما تحتاجه من أسواق جديدة.

Turkey & the Black Sea basin

After the cold war

waleed Mahmoud Ahmed

*Assistant Lecturer / Department of Political and Strategic
Regional Studies Center / Studies University of Mosul*

Abstract

The security and stability in the Black Sea region is of great importance for Turkey in the era of the Cold War.





After the end of this period, Turks began their political activity in the neighborhood of their country during the presidency of the Turgut Ozal (-) in order to build A Turkish regional leadership defined a (New Ottomanism).

The Turkish activity succeeded in combination of a group of countries opposing ethnically and ideologically in the project defined as (Organization of Economic Cooperation of Black Sea countries) contains economic – politically dimensions , in order to install the international peace in the region of the Black Sea and Caucasus whose necessary to secure energy supplies to Europe, according to Turks visions, it might be given weight internationally for Turkey in global stability, which helps to give additional impetus to Turkey on its way to join the European Union.

الهوامش والمصادر

- (١) محمد غونول، عمر غور: "نظرة عامة على السياسة الخارجية التركية في عهد أتاتورك"، من كتاب الفكر الكمالي، إصدارات مؤسسة أتاتورك العليا للثقافة واللغة والتاريخ، مركز أبحاث أتاتورك، ترجمة آدم أفين، (أنقرة:)، ص .
- Cengiz Okman: " Turkish foreign policy- principles- rules- trends ()
- " , in idris bal: Turkish foreign policy in post cold war Era (U.S.A:)
- , p.
- () F. Stephen Larrabee, Ian O. Lesser: Turkish foreign policy in an age of uncertainty (U.S.A:) , P.



- () Nicholas Danforth: " ideology & pragmatism in Turkish foreign policy from Atatürk to the AKP" , in Turkish policy quarterly, Vo. , No. November , (Washington Dc.:) , p.
- () Ibid , p. .
- () Fuat Keyman: Turkish foreign policy in the era of global turmoil, (Ankara:) , p. .
- () Gareth Winrow: Turkey, Russia & the Caucasus: Common & Diverging Interests, (London:) , p. .
- () Daniel Grotzky, Mirela Isic: "The Black Sea Region: Clashing Identities and Risks to European Stability" in Policy Analysis No. , October , (Munich:) , p. - .
- () Hüseyin Ba cı :Changing Geopolitics Turkish Foreign Policy (Vienna) , p. .
- () Sabri Sayari : " Turkish foreign policy in the post cold- war era" , journal of international affairs, Columbia university, vol. , No. , (New York:) , p. .
- () Gencer Özcan: Turkey's changing neighborhood policy, (Berlin:) , p. .
- () Emiliano Alessandro: "The New Turkish Foreign Policy and the Future of Turkey-EU Relations" in istituto affair internazionali,documenti/ A , February , (Roma:) , p. .
- () Ibid, p. .
- () Sabri Sayari : Op.Cit,p.
- () Hüseyin Ba cı : Op.Cit,p.
- () Yilmaz Colak: "Ottomanism vs. Kemalism: Collective Memory and Cultural Pluralism in s Turkey" in Middle Eastern Studies Vol. , No. , July (London:) , p. .
- (*) عن المبادئ الاتاتورية، ينظر: محمد غونول، عمر غور، المصدر السابق، ص ص



- () Nicholas Danforth: Op.Cit, p. .
- () Ibid, p. .
- () Ahmet Evin & Others: Turkey, its Neighbors& the west, Lynd & Harry foundation (Germany:), p. - .
- (**) كان الرئيس اوزال زعيما غير تقليدي ومن المناصرين لتوجهات أطلق عليها بالعثمانية الجديدة وقد سعى إلى تجاوز بعض الالتزامات الاتاتورية المقيدة للسياسات الداخلية والخارجية التركية، والآن وبعد مضي مايقرب العقدين من الزمن على وفاته لا تزال هذه في عداد المسائل التي يشكل طرحها مخاطرة في السياسة التركية. للتفاصيل ينظر: عمر تشبينار: "سياسات تركيا في الشرق الأوسط: بين الكمالية والعثمانية الجديدة"، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، مركز الشرق الأوسط، العدد ()، أيلول ، (بيروت:)، ص ص - .
- (٢٠) Nicholas Danforth: Op.Cit, p. ٨.
- (٢١) Ahmet Evin & others: Op.Cit, p.٧.
- (٢٢) Mithat Rende: "Strategic Implications of Security in the Black Sea Area" in report of The Third Japan-Black Sea Area Dialogue on Prospects of Changing Black Sea Area and Role of Japan, Wider Europe Research Center, University of Shizuoka January ٢٦-٢٧, ٢٠١٠ Tokyo, Japan, p. ١٥.
- (٢٣) Ibid, p.١٦.
- (٢٤) Zeyon Baran: "Turkey and the Wider Black Sea Region" in Daniel Hamilton & Gerhard Mangott: The Wider Black Sea Region in the ٢١st Century, Center for Transatlantic Relations, (Washington Dc: ٢٠٠٨), p. ٨٧.
- () Gamze Güngörmü Kona: "The Black Sea Economic Cooperation Organization (The BSECO) and Turkey", in Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, No. , January (Kocaeli Üniversitesi:), p. .
- () Ian O. Lesser: Bridge Or Barrier/ Turkey and The West After Cold - Ware, Copyright By RAND, (Santa Monica:), p. .
- () Nicholas Danforth : Op.Cit, p.
- () Ian O. Lesser : Op.Cit, p. .



- () Ibid: p.
- () Serdar Sayan: The Black Sea Economic Cooperation Project, Working Paper No: Presented at the Conference on Globalization: Challenges and Opportunities for Development Kuwait, October - , (Kuwait University:), p. .
- () Ibid : p. .
- () Zeyon Baran : Op.Cit, p. .
- () Gamze Güngörmü Kona : Op.Cit, p. - .
- () Ibid : p. .
- () Serdar Sayan : Op.Cit, p. .
- () Ian O. Lesser : Op.Cit, p. .
- () Serdar Sayan : Op.Cit, p. .
- () Ibid : p. .
- () Gamze Güngörmü Kona : Op.Cit, p. .
- () Ibid : p. .
- () Esra Siverekli Demircan: "Organization of the Black Sea Economic Cooperation in Globalization", Journal of Naval Science and Engineering , Vol. , No. (Çanakkale University :), p. .
- () Ibid : p. .

